المنزلة الرفيعة التي كانت فيها في صدر الاسلام . ولنا من تاريخ روسيا الحديث دليل على ارتباط تقدم الامم المادي والمعنوي بمقام المرأة فيها فقد بقيت نساء الاشراف في روسيا محجبات الى بداءة القرن الثامن عشر يعشن في بيوت بل في سجون لا يدخلها النور ولا الهواء أُسدلت الاستار على كواها واحكمت الاقفال على ابوابها ووضعت مفاتيحها في جيوب الاباء او الازواج . واذا أُريد نقلهن من مكان الى آخر نُقلن في محفات محجبات متبرقعات كما ينقل النساء في بلاد الهند . وحتى الآن لم يتمتع اهالي روسيا بالحرية المدنية ولكن فُكت قيود نسائها فجارين الرجال في العلم والتهذيب وصرن من دعائم الهيئة الاجتماعية الروسية فصارت بلاد الروس من اعظم ممالك الارض

كانت شمس المعارف في المشرق فانتقلت الى المغرب فعلينا يجب ان نستمد النور . وكل من يسعى في اعلاء شأن نسائنا له عندنا شكر غير ممنون ولكن " لا يغيّر الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم "

قصة لويس ده رُجمون

الفصل الخامس

ومرّت الايام بعد الزوبعة ونحن تائهون في ذلك البحر الخضم وذات ليلة التفتُّ الى ميا فرأيتها ترقب نجوم السماء وعلى وجهها امارات البشر فقلت في نفسي عساها رأت انا دنونا من بورت دارون فسرّت لسروري . ولما سألتها عن ذلك لم تجبني بكلمة بل بقيت محدقة بعينيها الى السماء وبعد ان قضت ساعة زمانية في مراقبة النجوم التفتت اليّ والبهجة ملء فؤادها وقالت انظر الى هذا النجم فنظرت ولم افهم مرادها فقالت ألا تذكر هذا النجم فنظرت اليه ثانية وخطر ببالي حينئذٍ انهُ نفس النجم الذي اهتدينا به الى دار قومها اول ما اتينا اليهم وانا عدنا الى حيث خرجنا منذ سنة ونصف كأن الزوبعة الاخيرة ردّتنا على اعقابنا ونحن لا ندري . فانفطر فؤادي وارتبت في القارب لا اعي على شيء وقد ضاعت آمالي كلها . فركعت بيا الى جانبي وحاولت تعزيتي بان قومها سيرحبون بي وانهم يتخذونني ربيبًا لهم اذا اردت البقاء عندهم وكان صوتها يدخل اذنيَّ ولكنهُ لم يؤثر فيَّ لان قلبت صوابي

ونزلنا على جزيرة صغيرة قرب فم الخليج واضرمت ميا النار علامةً لقومها لتخبرهم برجوعنا وكنا قد اتفقنا على ان نخفي عنهم ما حلَّ بنا لئلا يحتقروننا وتظهر كأننا عدنا من تلقاء انفسنا

شوقاً اليهم. ولم ننتظر مجيئهم الينا الى الجزيرة بل عدنا الى القارب وسرنا به الى ان وصلنا الى البر وكانت القبيلة كلها في انتظارنا فرحبوا بنا وبكوا فرحاً بلقائنا فلم استطع إلاَّ ان اخفف مابي واسلّم الى القدر المحتوم. وبعد ان حيياهم وحيونا بفرك الانوف على الاكتاف بنوا لنا كوخاً كبيراً وتسابقوا الى اتحافنا بكثير من اللوازم كالسمك والبيض واللاخف والجذور

واحتفلوا بنا تلك الليلة احتفالاً عظيماً وعلمتُ حينئذٍ ان قبيلة اخرى اغارت عليهم واوقعت بهم فظنوا اني اساعدهم على اخذ الثار وكشف العار ولما بسطوا لي ذلك رضيت ان اكون قائداً لهم اذا كان اثنان منهم يحملان ترسين كبيرين امامي يقياني بهما من الحراب فسروا بذلك وجعلوا يتسابقون الى هذا المنصب الرفيع وهو منصب حمايتي بترسيهم فاختارت اثنين منهم وبقيت اسبوعاً كاملاً امرتهم على درء الحراب عني فكان رجال القبيلة يرشقونني بها وهما واقفان امامي بترسين عريضين يقياني بهما الى ان وثقت انهما ماهران في ذلك. ثم جمعت خمس مئة رجل منهم ودربتهم على فنون الحرب وكان كلٌّ منهم مسلحاً بحزمة من الحراب يرشقها عن بعد ونبوت كبير يناجز به العدو مناجزة اذا دنا منهُ وترس واسع من الخشب يتقي به الحراب . ولما تمَّ تنظيم هذا الجيش اغرت به على بلاد العدو وكانت بيا قد نظمت شعري في اعلى راسي كالمرم بعد ان وضعت فيهِ كثيراً من عظام الحيتان ووضعت في اعلاهُ ريشاً كبيراً وخططت وجهي وسائر جسمي باتربة مختلفة الالوان وصنعت تبّاناً [1] من جلد الاسود اتزرت به

فما بلغنا بلاد العدو اضرم رجالي نيران المطالبة بالثار فأبى الاعداء طلبنا باضرام النيران وللحال قسمت رجالي وبعثت بخمسين رجلاً منهم الى مرتفع وراءنا وامرتهم ان يهجموا عند احتدام القتال لكي يرى العدو انهم آتون لنجدتنا فيخلع قلبهم وخطر لي حينئذٍ اني اذا ربطت رجلي بخشبتين طويلتين ومشيت عليهما كالبهلوان خاف العدو مني واركن الى الهزيمة من غير قتال ففعلت كذلك . ولما اقترب الفريقان اخذا يتشاتمان ويتعايران على جاري العادة ثم برزت الى امام رجالي وانا واقف على الخشبتين ورشقني الاعداء بالحراب فدفعها حاملا الترسين عني وللحال اوترت قوسي ورميت الاعداء بستة سهام باسرع من لمح البصر فلما رأوها ورأوني ذعروا واركنوا الى الفرار وتبعهم رجالي وقتلوا كثيرين منهم

وخطر لي حينئذٍ ان اسعى في اصطناعهم لاني أحوج الى الاصدقاء مني الى الاعداء حتى اذا ضربت في البلاد اجد فيها من ينصرني ويعينني على الرجوع الى الاوطان . وكاشفت

(١) التبان سراويل صغير مقدار شبر يكون للملاكمين والمصارعين

قومي بانني اريد اصطناع اعدائنا فسرُّوا بذلك بعد ان تحقق الفوز لهم فانتخبت نفرًا منهم وطرحنا اسلحتنا وتقدمنا نحو الاعداء عزلاً وبايدينا اغصان الاشجار وهي علامة المهادنة فلما رأونا مقبلين نحوهم على هذه الصورة رابهم امرنا اولاً حتى اذا تحققوا اننا من غير سلاح تقدم رؤساؤهم الينا بعد ما طرحوا اسلحتهم فكلمتهم وعرضت عليهم صداقتنا فرأوا اننا اعنونا عند المقدرة وحالفونا وجلسوا عند قدميَّ وانا واقف علامة الخضوع لي ثم اجتمعت القبيلتان واولما الزلائم اسبوعًا كاملاً وافترقنا بعد ذلك على تمام الصفاء . اما انا فزدت قلقًا وزاد شوقي الى مهاجرة تلك الديار والسير جنوبًا لعلي ابلغ بلاد المتمدنين لكي ابقيت ذلك الى فرصة مناسبة

وكنت امرُّ بمشاهدة اولاد المتوحشين ودرس طباعهم فرأيتهم يستطيعون السباحة قبلما يستطيعون المشي . وحينما يصير عمر الولد ثلاث سنوات يشرع يتمرَّن على رشق الحراب من القصب فيرشق بعضهم بعضًا بها ويتقونها باكفهم كانها تروس حتى اذا بلغوا التاسعة او العاشرة تركوا القصب واعتاضوا عنهُ رماحًا رؤوسها من الخشب الصلب او من العظم ويقف آباؤهم امامهم يشجعونهم ويطلقون لهم حلقة من الجلد في غصن شجرة وعليهم ان يرشقوا الرماح حتى تمرَّ فيها . واذا بلغ الفتيان السادسة عشرة من العمر أُدخلوا في مصاف الرجال واذا بلغوا التاسعة عشرة أُدخلوا في مصاف الابطال . ودخولهم في هذه المرتبة يقتضي امتحانهم على اسلوب يظهر فيهِ صبرهم على الشدائد فيصوم الشاب مدة طويلة ويمتنع عن اكل اللحم اسبوعًا من الزمان ثم يقف امام الرئيس عاري الوجه مقطب الجبين ويمسك الرئيس رمحهُ و يطعنهُ بهِ طعنات كثيرة في فخذيهِ وذراعيهِ تجتنبُ الشرايين والاوردة ولا يحضر هذا الامتحان الاولاد ولا النساء فاذا اظهر الصبر ولم يظهر على وجههِ شيءٌ من علامات الالم عُدَّ من الابطال والاَّ فان حرَّك يدًا او رجلاً او اصبعًا او اذا رمشت عينهُ عاد الى بيتهِ بالخيبة لكي يزيد تمرُّنًا واستعدادًا لامتحان آخر . واذا قصَّر في الامتحان الثاني قيل لهُ ان يذهب ويكون مع النساء وهذا اشد احتقار يحتقر بهِ الرجل . ومَن يفز في الامتحان الثاني يُطلَب منهُ ان يعدو مسافة ميلين او ثلاثة والدم يقطر من جراحهِ ويكتشف رمحًا صغيرًا منصوبًا في الارض فاذا عاد بهِ تمَّ امتحانهُ وأُجيز لهُ فيصير من الابطال المعدودين ويزوجهُ والداهُ بفتاة يعدانها لهُ وتضمَّد جراحهُ ويوضع عليها نسيج العنكبوت ونوع من الطين

ونساؤهم قباح المنظر بانوف عريضة وجباه ضيقة ووجنات بارزة لكنهم يعدون ذلك جمالاً ويتغنون بهِ . وكبر الانوف واتساع المناخر معدود عندهم من علامات الشجاعة في الرجال لعلاقة الانف باستنشاق الهواء

واذا ماتت أمرأة لم تدفن بل تترك مكانها وتنتقل المحلة كلها الى مكان آخر. وهم لا يذكرون اسم الميت مطلقاً لخوفهم الشديد من الموتى وكثيراً ما يقطعون رجلي بيت مخافة ان ينهض ويتبعهم

وامتهانهم للنساء يفوق التصديق لكنهن لا يشعرن بذلك لانهن لا يعرفن معاملة أخرى غير الامتهان. وهن بمثابة دواب الحمل فيحملن بيوتهن وامتعتها كلما انتقلت القبيلة من مكان الى آخر وكثيراً ما ترى امرأة تحمل طفلين او ثلاثة مع الاوتاد والمطارق وتجارة الطحن وسائر امتعة البيت اما الرجال فيحملون تروسهم ورماحهم. ويقتصر عملهم على الحرب والصيد والتنصص وعمل الاسلحة ويزينون تروسهم بخطوط ونقوش تدل على مقام كل منهم والمعارك التي فاز فيها

ويبقى البنات يلعبن مع الصبيان ويقرن مثلهم على الرماية الى ان يبلغن العاشرة من العمر فيرافقن امهاتهن في التفتيش عن الجذور وقلعها بالاوتاد والمطارق.

ولشيوع الضرار عندهم وجهلهم المطبق يكثر الخصام بين الزوجات فاذا فضّل رجل زوجة على ضرتها اغتنمت الضرة فرصة تكون فيها مع زوجها وغنّت له اغنية تقول فيها انها من قوم ابطال اشداء وقد تزوجت في قوم جبناء ضعفاء لا قلوب لهم ولا اكباد. فيقبض الرجل على بوتو ويضربها به ضربة تكاد تقضي عليها وكثيراً ما يكسر بعض عظامها فيبادر بقية النساء اليها ويضمدن جراحها ويعتنين بها الى ان تشفى فتعود الى اعمالها وتنظر الى زوجها كما كانت تنظر اليه من قبل كأنه لم يحدث شيء غير عادي

ويتعلم البنات الطبخ واضرام النار وعمل الافران. واذا طُبخ الطعام ابتعد عنه النساء والاولاد واتاه الرجل رب البيت فاختطفه عن النار ووضعه في قطع من لحاء الاشجار وتربع امامه وجعل يأكل وهو يمزق اللحم باسنانه تمزيقاً ويقف نساؤه واولاده وراءه على بضع اقدام منه وهو يرمي اليهم بقطع من الطعام من وقت الى آخر من فوق رأسه كلاب ترمى اليها العظام وكسر الخبز فيثبون عليها ويختطفونها. وكثيراً ما يلتفت الوالد الى ابن من ابنائه وبدنيه منه ويطعمه معه. واما البنات فلا نصيب لهن من هذه العناية مطلقاً بل كثيراً ما يأكلهن اباؤهن اذا خافوا كثرة الاولاد

ولكل قبيلة ارض خاصة بها تضرب فيها من مكان آخر وتعرف حدودها من الاشجار والآكام المحيطة بها ولا تتخطى قبيلة ارضها وتدخل ارض جارتها الا في زيارة حبية اذا كانت القبيلتان متحالفتين. ومن دخل ارض قبيلة اخرى للصيد فيها فجزاؤه الموت واذا دخلت امرأة ارض قبيلة اخرى امسكها رجال هذه القبيلة حالاً وغنمها واحد منهم

وهم ماهرون في اقتفاء الاثر وكل قبيلة تميز بين آثار اهلها وآثار غيرهم وبين آثار اصدقائها وآثار اعدائها اي انهم يعرفون كثيرة من آثار قدميه كما يعرفونهُ من هيئة وجهه

وكانت بيا شديدة الرغبة في اقناعي بالبقاء مع قومها فاستعانت ببعض النساء وبنت لي كوخاً كبيراً قطرهُ عشرون قدماً وارتفاعهُ عشر اقدام واخبرتني ان قومها يحبون بي ويكرمونني اكراماً عظيماً وانني اذا اردت ان اتزوج بنساء كثيرات منهم زوجوني بهنَّ عن طيب نفس . فضحكت عليها وبقيت على ما كنت فيهِ اراقب الخليج كل يوم لعلي ارى سفينة مارَّة فيهِ . وزاد قلقي رويداً رويداً حتى خفت ان اصاب بجنة ان لم اخرج من تلك البلاد . ونفرَّت نفسي عن الطعام ولم اعد استطيع الصبر على ما كنت اراهُ من ظلم النساء فكنت كلما شاهدت رجلاً يضرب زوجتهُ ويلقيها على الارض مضرَّجة بدمائها يثور غضبي واحاول الهجوم عليهِ والانتقام منهُ ولا اضبط نفسي عن ذلك الاَّ غصباً . واخيراً قرَّ رأيي على ان اقطع الخليج بقاربي واسير غرباً حول راس لندندري ثم اسير جنوباً بين الجزائر الكثيرة الى ان ابلغ خليج ادميرلتي وكنت قد مضيت الى هناك قبلاً ووجدت كثيراً من الماء والطعام . فذهبت بيا معي ورافقنا الكلب فقطعنا الخليج ووصلنا الى البر التالي ورأينا هناك صخوراً كثيرة عليها صور تمثل الناس والطيور وهي ساذجة جداً كالصور التي يرسمها الاطفال فرسمت معها صورتي وصورة زوجتي وكلبي . واصطدنا كثيراً من السمك وهو طيب الطعم ثم قمنا وسرنا جنوباً ومررنا بجزائر كثيرة ونزلت على واحدة منها رأيت فيها رجمة من الحجارة حجارتها موضوعة وضعاً منتظماً فخفقت بيا انها ليست من صنع اهل البلاد فاستنتجتُ ان بعض الاوربيين وقعوا على تلك الجزيرة فاقاموا هذه الرجمة ونصبوا عليها علماً لتراهُ السفن وتأتي اليهم . ورأيت كثيراً من آثار السفن المحطمة على تلك الصخور والجزائر . وبعد ان مرَّ علينا نحو ثلاثة اشهر ونحن ضاربان جنوباً بلغنا خليجاً كبيراً عرفت بعدئذٍ انهُ مضيق الملك . وقد مررنا باقوام كثيرين رأيتهم يعرفونني لانهم حضروا وليمة الحوت المذكورة آنفاً فرحبوا بي واوصيتهم ان يراقبوا لي البحر لعلهم يجدون فيهِ سفينة فيخبروني فوعدوني بذلك وقال لي واحد منهم انهُ يعرف قبيلة عند شيخها امرأتان من النساء البيض جلدهما ابيض مثل جلدي . فارتعدت فرائصي عند سماعي هذا الخبر لكنني حسبتهما من الملقيات لا من الاوربيات ثم قال ان الشيخ اسرهما بعد ان حارب رجالاً من البيض وقتلهم وكانوا قد جاؤوا الى هناك بمركب كبير . فعزمت ان اسير بنفسي وارى من هما فرفعنا القارب الى البر وسرت انا وبيا وحدنا وكانت الطريق وعرة جداً في اول الامر والارض قاحلة كثيرة الصخور ثم انبسطت امامنا

وصارت كثيرة الشجر والماء وفيها اشجار مثمرة ثمرها كالكمثرى شكلاً يسميه الوطنيون بيًّا . فوصلنا السير الى ان بلغنا القبيلة المقصودة ورأينا شيخها وكان معي جوازه من القبيلة الاولى فرحَّب بنا ولم نكن نفهم لغته نكنا نكلمه بالاشارة

وكنت اعلم انهُ من عادة الناس هناك ان يقدموا امرأة او اكثر لضيفهم اذا طلب منهم ذلك فعزمت ان اطلب منهُ المرأتين المشار اليهما لكنَّ ذلك لا يليق عندهم الاَّ بعد تمام الاحتفال بالضيافة وكانت بيا تعلم غرضي فمضت واختلطت بنساء القبيلة ثم عادت بعد المساء وامرَّت اليَّ انها رأت المرأتين وانهما مثلي وأتكلان لغتي . وكان الاحتفال بقدومي قائمًا على ساق وقدم واستمر الليل كلهُ فاضطررت ان ابقى فيهِ على جمر الغضا وانا التفت الى الشيخ فاراهُ قبيح المنظر لم تقع عيني على رجل اقبح منظرًا منهُ وهو طويل القامة غير حالك السواد كأنهُ من نسل الملثمين وفمهُ بارز مغفور كفم التمساح . وكنت كلما التفتُّ اليهِ وافكرت بتينك المسكينتين اللتين وقعتا في مخالبهِ يقشعرُّ بدني وترتعد فرائصي حتى خيل لي انني ارى ذلك في الحلم لا في اليقظة . ثم كنت افكر في حال اهلها وما كان يخطر لهم لو رأوا هذا الوحش وما حلَّ بابنتيهما منهُ . وكثيرًا ما خطر ببالي ان انهض وامضي اليهما واخلصهما واحارب القبيلة كلها ولكنني كنت اعود فافتكر ان ذلك ضرب من المحال . ولما انقضى الاحتفال تقدمت الى الشيخ وسألتهُ عمَّا اذا كان لازمًا ان يقوم بحق الضيافة فقال نعم فقلت اذًا ارسل اليَّ المرأتين البيضاوين فابى عليَّ ذلك فجعلتُ اعيدهُ بالخروج عن سنَّة قومهِ وحقوق الضيافة فطلب مني ان امهلهُ ليتبصر في الامر

وكانت بيا قد امتزجت بالقوم واخبرتهم بالاعمال العظيمة التي عملتها وبانني هبطت من عالم الارواح ولي مقدرة تفوق الطبيعة وكل شيء خاضع لي التصرف فيه كيف اشاء . وكنت قد لعبت كثيرًا من الالعاب وقت الاحتفال بقدومي على جاري عادتي وادهشت رجال القبيلة فاعجبوا بي واحبوني حتى اذا بلغهم امتناع الشيخ عن اعطائي المرأتين لامهُ على ذلك فاذعن اخيرًا وسمح لي ان اخذهما فارسلت بيا اليهما لتخبرهما بذلك . وكنت عاريًا مثل اهل البلاد وجسمي مخطط بخطوط كثيرة مثل شيوخهم وليس على بدني الاَّ تبَّان كما تقدم . ثم عادت بيا وصارت بي اليهما وانا مضطرب اشد الاضطراب . ولا انسى ابد الدهر كيف رايتهما جالستين على الرمل في ظل ذروة صغيرة تقيهما من عصف الرياح وهما عاريتان تمامًا متضامتان خوفًا من البرد وقد جللهما شعرهما وجسماهما ناحلان جدًّا كأنهما لم تذوقا طعامًا منذ ايام كثيرة فلما وقع نظرهما عليَّ صرختا كلتاهما فرجعت الى الوراء لاني

فظننت انهما حسبتاني شيخاً آخر من شيوخ السود ثم عدت الى نفسي ودنوت منهما وجلست وخاطبتهما بالانكليزية قائلاً اني رجل ابيض مثلهما واني صديق لا عدو وغرضي تخليصهما اذا كانتا تثقان بي . والتفت الى بيا وقلت لها انها زوجتي فانتابي بوضعتا يديهما في يدي وصرختا خلّصنا من هذه الحالة خلصنا من هذا الوحش النكاسر . ثم اخبرتهما اني اتيت الى تلك البلاد لانقاذهما وانهُ لا بدَّ لهما من الصبر والتأني لان خلاصهما ليس بالامر السهل ولكني ما دمت هناك فهنَّ بمأمن من كل خطر . فاطمأنَّ بالهما نوعاً واطمأنَّ بالي عليهما لانني اعلم ان شروط الضيافة تقضي ان لا يتعرض لهما احد بمكروه ما دمت ضيفاً على تلك القبيلة

ثم تركتهما وذهبت انا وبيا الى غوطة قريبة يكثر فيها الصيد واصطدنا كثيراً من البط والبجاء فسلخت جلودها واعطيتها لبيا فخاطت منها قميصين وعدنا بهما الى البنتين وكانتا ترتجفان من البرد فلبساهما واخبرتاني انهما من سفينة كسرت هناك منذ نحو ثلاثة اشهر وكانت القميصان مثل كيسين كبيرين يغطيان البدن من العنق الى الركبتين وربطتهما الى الداخل ثم نقلص جلدها لما جف فصار منظرهما غريباً جداً . وصنعت بيا لها طعاماً فاكلتا وانتعشت قواهما واخبرتاني بقصتهما وهي ما يأتي قالت الكبرى منهما واسمها بلانشي

" انا واختي ابنتا القبطان رجرس وكنا نسافر معهُ في سفينتهِ وهي اسمها ومحمولها ٧٠٠ طن واتينا معهُ سنة ١٨٦٨ من بلاد الانكليز قاصدين بتافيا فافرغ ما في السفينة من الشحن ولما لم يجد شحناً يعود بهِ قصد مكاناً آخر لعلهُ يجد فيهِ شحناً يقوم بنفقات السفر . ورأينا في الطريق سفينة تستغيث بنا فوقفنا لنرى ما حل بها فاتى قبطانها الينا وقال لنا ان الزاد فرغ وطلب ان نبيعهُ شيئاً منهُ ودار الحديث بينهُ وبين ابي ولما علم اننا ننتش عن شحن قال علام لا تقصدون الى جزيرة من جزائر الغوانو (ذرق طيور البحر الذي يستعمل سماداً) وتشحنوا سفينتكم منهُ فانكم تشحنونهُ بلا ثمن واذا عدتم بهِ الى بلاد الانكليز تعتوهُ بثمن كبير . فقال لهُ ابي ان ليس معنا شيء من الادوات اللازمة لشحنهِ كالرفوش ونحوها فقال ان عندهُ كثيراً منها لان سفينتهُ لشحن الغوانو واعطانا بعضها بدل الزاد الذي اعطيناهُ اياهُ . وسرنا الى جزيرة من جزائر الغوانو وشحنّا السفينة وعاد ابي مسروراً ولم يدرِ ما خُبِّئَ لهُ في مخابيء الدهر . ودنونا من جزيرة تتردَّد السلاحف عليها وتبيض فيها فطلبنا من ابي ان يسمح لنا بالنزول لرؤية السلاحف فسمح ونزلنا في قارب ونزل معنا ثمانية رجال من البحارة لحمايتنا سبعة منهم سود وولعد اسكتلندي وسرنا في الجزيرة وانتظرنا صعود السلاحف اليها عند المساء فرأيناها

نحفر حفراً في الرمل نبيض فيها ومضي الوقت ونحن لا ندري ولما اردنا العودة الى القارب كانت الرياح قد اشتدت وماج البحر فقال البحارة انهم لا يستطيعون العودة الى السفينة حينئذٍ لانها كانت على ثلاثة اميال منا والبحر كثير الصخور والدبور بينها وبين الشاطىء فاجمع رأينا على ان نبقى في الجزيرة تلك الليلة فاضرموا لنا ناراً كبيرة واجلسونا بجانبها وجلسوا حولنا ذروة لنا من عصف الرياح واحيوا الليل بقص القصص والنوادر . ولما اصبح الصباح نظرنا الى البحر فاذا الزوبعة تزيد اشتداداً والافق ظلاماً ولو كنا في السفينة لاقلع ابي بها وسار في عرض البحر قبل اشتداد الزوبعة ولكنه خاف ان يمضي ويتركنا فبقي في مكانه راجياً ان تسكن الزوبعة فيتيسر لنا الرجوع اليه

وبعد قليل بلغت الزوبعة اشدها وقطعت سلاسل السفينة ودفعتها نحو الشاطىء ورأى البحارة الذين معنا ذلك فعلموا انها هالكة لا محالة لكنهم اخفوه عنا وعادوا بنا الى المكان الذي اضرموا فيه النار وطلبوا منا ان نبقى فيه . وعدنا منهم بعد قليل ان العواصف تقلبت على السفينة واغرقتها ولم ينجُ منها احد واننا تُركنا كلنا على تلك الجزيرة . ومضى الليل التالي ونحن في حالة من الغيظ والضنك لا استطيع وصفها . وفي الصباح سكنت العاصفة وهدأ البحر فانزلونا الى القارب ورفعوا شراعه وساروا قاصدين البرعاهم يجدون ماء لشربه لان الجزيرة التي كنا عليها لم يكن فيها ماء وقد نفرغ مأؤنا فلما بلغنا البر ابعدتُ انا واختي عن الرجال ودرنا حول صخر كبير وخلعنا ثيابنا ونزلنا الى البحر لنغتسل ولم يكن الا دقائق قليلة حتى رأينا امامنا جماعة من البرابرة كانهم نبتوا من تلك الصخور فاسرعنا نحو ثيابنا واذا بالبرابرة نزلوا الينا الى الماء ورآهم البحارة فنزلوا من القارب باسرع من لمح البصر واسرعوا لنجدتنا فالتقاهم اولئك الوحوش برشق الرماح وقتلوهم كلهم ثم اجهزوا عليهم بنبابيتهم ولما رأيناهم يفعلون ذلك اغمي عينا ولم نفق الا حينما اوصلونا الى محلتهم وامروا نساءهم ان يحتفظن بنا ولم نكن نفهم كلمة من لغتهم فاشرنا اليهم ليعطونا ثيابنا فاخذوها ومزقوها قدداً وعصبوا بها رؤوسهم وتركونا عاريتين فحسبت انني ارى ذلك كله في حلم او ان عقلي طار وجُننت

وبعد قليل رأينا البرابرة قد احتملوا القتلى وعادوا بهم الى المحلة فاستغربنا ذلك منهم ثم ادركنا انهم من اكلة الناس الذين كنا نقرأ عنهم فجاشت نفسي وكاد يغمى عليّ ثانية ولم ارَهم يشوون القتلى ويأكلونهم ولكنني شممت رائحة الشواء وهي تزعق النفوس وعدت كالمجنونة لا ادري ما افعل ولا بما افكر . ثم شعرنا بحدوث نزاع بين القبيلة كان البرابرة اختصموا علينا والظاهر ان الشيخ الطويل صارع رفاقه وغلبهم فكنا من نصيبه وجاءنا بعد الصراع وبشرنا بذلك . اواهُ ما اشقانا وما اشد بلوانا . . .

ومضت الايام ونحن نطلب الموت فلا نجد اليه سبيلاً واخيراً اغتنمنا فرصة غفل فيها النساء الموكلات بحراستنا وركضنا الى النهر لنغرق نفسنا فيه وعلم البربرة ذلك فعدوا وراءنا وادركونا قبل ان نغرق وعادوا بنا الى المحلة واعتقلونا بحبال من الشعر حتى لا نهرب ثانية

وكنا نرفض كل ما يقدم الينا من الطعام رجاء ان نموت جوعاً لكنهم تهددونا بالتعذيب بالنار اذا لم نأكل . والطعام قبيح تقزز نفوسنا منه لكننا اضطررنا ان نتناول تبلغاً خوفاً من العذاب. وصرة تغاضب الشيخ عساه يغتاظ منا ويقتلنا فلم يفعل ونحن على ما ترى كأن الشقاء والبلاء متمثلا في شخصينا "

هذه هي القصة التي قصّاها عليّ ولا اظن ان امرأة من بنات الانكليز اصابها ما اصابهما وبقيت حية ترزق . فقابلتُ بين حالها وحالي فوجدت نفسي في فردوس النعيم بالنسبة اليهما. ثم اخبرتهما ان الخروج بهما دفعة واحدة غير مستطاع حسب قوانين البلاد ولكنني ادبر طريقة خلاصهما وما دمت هناك فلا خوف عليهما لانهما في حماي فليس عليهما الاّ الصبر

اصنام العرب واصلها المصري

لحضرة العالم بالآثار المصرية احمد بك كمال امين المتحف المصري

نقل ابو الفداء عن الشهرستاني ان العرب الجاهلية اصناف صنف انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المنيي . وصنف اعترفوا بالخالق وانكروا البعث . وصنف عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم خاصة بقبائلهم فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير . ويعوق لهمذان واللات لثقيف بالطائف والعزّى لقريش وبني كنانة . ومناة للاوس والخزرج وهبل اعظم اصنامهم كان على ظهر الكعبة . واساف ونائلة كانا على الصفا والمروة

وقال ابن هشام حدثني بعض اهل العلم ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض اموره فلما قدم مآب من ارض البلقاء وبها يومئذ العمالق رآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي اراكم تعبدون قالوا له هذه اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم افلا تعطونني منها صنماً فاسير به الى ارض العرب فيعبدوه فاعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه

وقيل ان العرب كانت تعبد الكواكب والاصنام وتعظمها فكانت قبيلة عاد تعبد الاصنام